في متحف الخردوات الثمينة

الجلوس خلف مقود سيارة أمريكية مصفحة صنعت في الأربعينيات تجعلك تشعر بمتعة امتطاء جبل من الحديد السميك. إنه مكان آمن، لكنك لن تصدق مهما حاولوا إقناعك أن بمقدور هذا الشيء التحرك سنتميترا واحدا.

رغم هذا تحركت إحداها الشهر الماضي استعدادا لعام تتزعم فيه صنعاء الثقافة العربية، وكان على رجال المرور والمسؤولين عن هذه السيارة في المتحف الحربي تأمين طريقها إلى ورشة تقع في نهاية أكثر شوارع صنعاء ازدحاما.

قال الملازم أول محمد جحزر من المتحف: "اضطررنا لإيقاف الحركة في شارع حدة والشوارع المؤدية إليه لتمر".

إنها بطبيعة الحال تملك محركا يصرخ بشكل مزعج لم يعد مناسبا لشوارع مكتظة بالبنايات العالية، والمكابح معطلة، و"تريد أربعة أشداء ليديروا عجلة القيادة" حسب وصفه.

متعة بين تفاصيل الألم

استطلاع/ محمد الظاهري

وشيء آخر لم يقله، أنها أصبحت أثمن، إن هذه الأشياء تصبك بالغيرة، فكلما تقدم بها العمر زاد ثمنها والعناية بها، على الأقل لم تكن مجرد سيارة، لقد كانت خاصة بالفريق حسن العمري..

قال مدير المتحف المقدم شرف لقمان الذي كان معارضا الإفشاء بقصة خروجها: "كان العمري يستخدمها في تنقلاته داخل صنعاء خصوصا إبان حصار صنعاء عقب الثورة"، وهو حصار استمر سبعين يوما عصيبا لولا صمود الرجال لعادت الثورة من حيث أتت.

ما زالت آثار الرصاص التي حاولت اختراق نوافذها السميكة واضحة.. إنه نقش آخر من الماضي. في كثافته نص قديم، وتاريخ ثورة محفوظ على ثلاث شرائح من الزجاج السميك والثقيل تعزل بينهما مادة بلاستيكية من نوع ما.

لقد ذهبوا وبقيت هي.. حين تطل من نافذتها لن تجد (العمري)، ولا أحدا ممن استخدمها في زمن يشبهها تماما. لم نجد نحن غير (هرة) تتنقل بين المقاعد بهدوء.

هي وسيارة أخرى لا تختلف عنها إلا في اللون تستقران متقابلتين في فناء المتحف الحربي التابع لدائرة التوجيه المعنوي في القوات المسلحة إلى جوار أول طائرة حربية استخدمت في الثورة من طراز (ميج ١٧)، وأول دبابة استوردتها اليمن من إيطاليا في الثلاثينيات.

يا لها من تفاصيل، إن المتحف على سعته يبدوا ضيقا لكثرة البقايا، ربما لأن الحروب لا تترك لنا غير البقايا، رغم هذا يحتفل كل شعب بحروبه وبقاياه كل عام، فهي الولادة العسيرة التي أنجبت الضوء.

يقولون: "تبعث الحياة من رحم الموت".. أحيانا.

السيارة الثانية لها لون أسود، وفي زجاج إحدى نوافذها فتحة تخبرك مدى ضخامة السلاح الذي صنعها متجاهلا الزجاج المصفح وطبقاته الثلاث بشكل فض، وبتسرع سألنا: "هل هذه السيارة التي قتل فيها الإمام يحيى".

مصفحة.. أم لا؟

وبسرعة نفى الملازم جحزر الذي رافقنا في جولة ممتعة بين تفاصيل الحرب، "لا"، فالسيارتان مهداتان من الملك سعود بن عبدالعزيز للإمام أحمد، يعني أن الإمام يحيى (الأب) كان متوفيا يومها.

وقد انتقلت السيارة الأولى بعد نجاح الثورة إلى العمري، وآلت الثانية إلى أول رئيس للجمهورية المشير عبدالله السلال، ومنه إلى الرئيس الغشمي، ومع الأخير كانت قصة الفتحة الفضة في الزجاج تحمل تفاصيل ليست ممتعة فقط، فقد قرر ذات يوم التأكد مما إذا كانت هذه السيارة المصفحة مضادة فعلا للرصاص أم لا، وحسب المسؤولين في المتحف أخذها مع سائقه ومرافقيه إلى (عصر) وهي ضاحية من ضواحي صنعاء كانت يومها بعيدة عن المدينة.

وهناك بدأ بتجريب متانة سيارته، بدأ بالمسدس، ثم الرشاش (الكلاكنشوف)، ثم رشاشا من عيار ١٧، ثم رشاشا آخر أكثر قوة، في النهاية كان متأكدا أن سيارته ليست مصفحة.. انظروا إلى الفتحة لتتأكدوا.

طيارو المدفعية!!!

"سيارة الإمام في الداخل"، قال جحزر ذلك بعد رواية الحكاية السابقة، لكن ما حكاية الدبابة الصغيرة الموجودة هنا، إنها إحدى دبابتين أستوردها الإمام يحيى من إيطاليا في العشرينيات بعد أن حدثه عنها بعض أفراد مجموعة بعثها لدراسة الطيران هناك.

قصة أخرى، فقد أرسل الإمام عام ١٩٢٧ مجموعة لدراسة الطيران الحربي في إيطاليا، وكانت أول محاولاته لبناء سلاح جوي قبل أن يعدل عن الفكرة. ولمعرفة السبب يمكنكم قراءة السطور التالية.

حين عاد الطيارون اليمنيون أهدت إيطاليا اليمن طائرة حربية، وقد حاول أحدهم الاستعراض بها أمام الإمام، وأثناء الاستعراض سقطت الطائرة بقائدها، وكان القرار النهائي يقضي بعدم التفكير في السلاح الجوي مجددا.

صورة الطيارين الذين تحولوا إلى جنود مدفعية موجودة في المتحف ضمن أشياء أخرى خلفتها الحرب وراءها، مثل سيف الإعدام الذي قصل رؤوس أبطالنا الأوائل، وآخر الشهداء، والقيود الثقيلة التي غللت أقدامهم بعضها يزن أكثر من عشرة كيلوجرامات، وصور رؤوسهم التي التقطتها عدسات غربيين وعرب محترفين تذكرنا .. بكيف كان الألم.

بين تفاصيل مؤلمة

إنه نفس الألم الموجود في نظرت حادة من عيني الشهيد الثلايا قبل دقائق من إعدامه نقلتها ريشة زيتية من فوتوغرافيتها، يومها سأله الإمام: "أعلمك يا ثلايا وأبعثك إلى الخارج ثم تفعل بي هذا؟"، ليرد بقوة: "لقد علمتني وتركت شعبا بأكمله تحت وطأة الفقر والجهل؟"، وقد حكم عليه الشعب نفسه يومها بالقتل، حين سأل الإمام حشد من الحاضرين قالوا: "أقتله".

لم يغير ذلك في موقف الثلايا شيئا، لم يبحث عن عبارة قد تنجيه من الموت، أكتفى بـ "شعب أردت له الحياة فأراد لي الموت".

أشياء كثيرة، وتفاصيل أكثر مكدسة في المتحف العريق الذي بناه العثمانيون في عهد السلطان عبدالحميد خان الثاني عام ١٩٠٢ ليكون مدرسة للصنائع في صنعاء، قبل أن يحوله الإمام يحيى إلى (سجن الصنائع) حتى عام ١٩٣٢، ثم مقرا للبعثة العسكرية العراقية التي جاءت لتدريب جيشه حتى عام مقتله، ليجعل منه مشروع الثورة الأولى دارا للضيافة، وحين عاد الحكم إلى الإمام أحمد ابن الإمام السابق جعله وزارة للداخلية، ثم متحفا في عام ١٩٨٤.

لكن معظم الأشياء، وكل التفاصيل هناك ممنوعة عن التصوير بشكل جعلني أرثي لحال زميلي المصور وأنا أشعر بإصبعة تدغدغه.

سيارة الإمام

في الداخل كانت سيارة سوداء تنظر إلينا بمصباح واحد يصدر منه ضوء خافت، فيما يثير المصباح المطفأ تساؤل طالبات مدرسة ثانوية في صنعاء كن هناك، وكان يثير تساؤلاتنا بريق السيارة القديمة.

إنها سيارة الإمام يحيى، وبالتحديد.. السيارة التي قتل فيها في الحادي عشر من نوفمبر ١٩٤٨، وكانت أول الأعمال الجادة للإطاحة بنظام السابق، أو كما يقولون "الإرهاصات الأولى للثورة".

لكن ثمة خطأ فادح ارتكب في وقت لاحق، لقد خضعت السيارة إلى عملية ترميم أزالت كل الأشياء الثمينة، كل الآثار، لقد استبدل الزجاج المكسور بآخر جديد، وكسيت المقاعد بغير لونها.

"قصة" ... صحفية!!

الملازم جحزر نفسه كان مستاء مما حدث، ووصفه بأنه "خطأ فادح"، ومثله مدير المتحف المقدم لقمان شديد الحرص على كل شيء حتى معلومات معروضاته، فكل شيء يكاد يكون ممنوعا، حتى استخدام عبارة "قصة صحفية". هل تعلمون لماذا؟.

بمصادفة محضة نشرت قاصة يمنية قصة استوحتها من زيارة إلى المتحف المكتظ بذكريات أيام مؤلمة، ودارت أحداث القصة بين القاصة وضابط في المتحف يرتدي نظارة.

وبالمصادفة المحضة أيضا كان النقيب لقمان الضابط الوحيد الذي يرتدي نظارة في المتحف، على الأقل من وجهة نظر زوجته التي أقامت الدنيا ولم تقعدها.

بالنسبة لسيارة الإمام يحيى استخدم الملازم جحزر مفردة "يقال" وهو يخبرنا: "أنها السيارة التي قتل فيها الإمام، رغم أنه لا جدوى من استخدام المفردة، فلم تكن السيارات يوما بالكثرة التي تسمح بأكثر من خيار.

ليس هناك غير السيارتين السابقتين، وقد وصلتا اليمن في عهد إمام آخر، وهذه السيارة المشوهة بشكل مؤسف، وعربة (كرو) من طراز إيطالي كانت خاصة بوزير خارجية الإمام يحيى تركي الأصل محمد راغب رفيق. وسيارة إنكليزية من موديل ٤٣ استخدمتها الملكة اليزابيت في الأربعينيات أثناء زيارتها لمدينة عدن التي كانت آنذ مستعمراتها.

تبقى سيارتان أحدهما خاصة بالمندوب السامي البريطاني في عدن والأخرى لسلطان لحج وجدتا في فندق (توفمبيك عدن) كما أخبرنا بذلك المسؤولون في المتحف.

"كب إلى شعوب"!!

باستثناء ذلك.. لم تكن هناك سيارات خاصة، كان هناك عدد من سيارات النقل لا يزيد عددها كثيرا عن السيارات الخاصة. معظم هذه السيارات كانت تستخدم للتنقل داخل صنعاء في طرق ترابية، ولإحداها علاقة بالمقولة: "كب لا شعوب".

لا يوجد أحد لا يعرف هذا المثل.. وقليلون يعرفون المناسبة، فقد أساء غبار إحدى السيارات القلائل في اليمن "قبل قيام الثورة إلى راكب حمار، لكنه أدركهم في مكان ما قرب صنعاء وقد نفد وقودهم، فقال بتشفي: "كب إلى شعوب".

وكان يعلم بأن محطة تزويد السيارات بالوقود الوحيدة هي في شعوب، وبمعنا أدق ربما كان هناك دكان يبيع المحروقات في براميل، حتى لا يتخيل أحدكم محطة كالتي نعرفها اليوم.

بالنسبة للطرق يستثني المسؤولون في المتحف وكبار السن من الناس طرق وعرة كانت تربط صنعاء بمحافظة الحديدة في الغرب، ومحافظة صعده في الشمال، ومحافظة تعز في الجنوب، وقد استحدثت في فترات متأخرة من حكم الإمامة، والأخيرة كانت تتوقف عند جبل سمارة قبل أن تصل تعز.

حسنا.. لكن كيف وصلت هذه السيارات إلى صنعاء؟، لأننا شعوب لا تكترث بالكثير من معلوماتها لن يمكننا معرفة ذلك إلا إذا وجدنا من تولى عملية نقلها شخصيا، وهذا مستحيل آخر. حتى المتحف اكتفى بلصق لافتة صغيرة على الزجاج الأمامي لسيارة الإمام تقول: "أهداها إلى المتحف العقيد عبدالعزيز حمران"، ولا تفاصيل أخرى.

تصوير / محمد حويس

تأملات

محمد العريقي

من وحي مهرجان الأنشطة المدرسية

لا داعي لأن نشعر بالإحباط إذا أصابنا الملل أو سئمنا من التكرار ولا داعي لأن نستسلم لليأس إذا ثقلت علينا حالة الركود الإبداعي لفترة ما فهناك الأمل الذي يشق كل هذا الصمت ويبدد السأم ويحرك المياه الراكدة.

بالأمس رأيت هذا الأمل الكبير في فعاليات المهرجان الخامس للأنشطة المدرسية الذي نظمته أمانة العاصمة ووزارات التربية والتعليم والثقافة والسياحة والشباب والرياضة .

جلست مع مجموع الحضور ومنهم وزراء واعضاء في مجلس النواب لمتابعة الفقرات الفنية والثقافية التي قدمها زهرات وبراعم من مدارس البنين والبنات بالأمانة وبني الحارث..فوجدنا أمامنا قدرات ومواهب إبداعية رائعة ، جعلت الحضور يتابعون، ليس تأدباً بروتوكوليا وإنما انسجاماً واستمتاعاً ، تلك الأعمال المتميزة التي تنوعت بين المسرحية والغنائية والشعر والرقص. وكانت ساعات أضفت البهجة في جو اسري سعدنا خلالها كثيراً بابداعات أبنائنا وبناتنا الصغار.. وشاهدنا ايضاً نماذج لأعمال يدوية من تجهيز عدد من مدارس الأمانة، برزت فيها القدرات في إعداد أدوات كثيرة من خامات محلية أو من المخلفات المنزلية.

وفي تلك الأعمال يكتشف الانسان أن العقل المدبر يمكن أن ينجز أموراً مختلفة المهم كيف نهيء الجو لهذا العقل أن يبدع وينتج.

في الأخير اكتشفت أننا جميعاً مسؤولون عن حالة الركود والجمود التي حبسنا انفسنا بقيودها، مع أنه يمكن أن نتحرر من كل هذا الإحباط بالاتجاه إلى قاعدتنا العريضة والواسعة.. قاعدة الطفولة والشباب ففيها الوفرة الابداعية والخصوبة الذهنية.

وواجبنا العمل بكل الوسائل لتنمية ورعاية هذه الإبداعات التي سترفع من شأن اليمن حاضراً ومستقبلاً.

alariky@maktoob.com

التوازن المفروض

لميس الذبحاني

لا يمر شهر دون أن نسمع أو نقرأ عن حلقة نقاش أو ندوة أو ورشة عمل لمناقشة قضايا المرأة في مختلف المجالات .. وفي داخل القاعات المكيفة وتحت اللافتات والشعارات البراقة تعلو الأصوات .. ويحتدم النقاش .. وتشكل اللجان .. وتتشعب المحاور .. وتتعدد الاقتراحات حول القضايا نفسها التي مازالت مطروحة على مائدة الحوار !

البعض يرون أن المؤتمرات النسائية تحولت إلى ساحات لافتعال معارك لا معنى لها وهدفها التنافس على حب الظهور والوجاهة الاجتماعية والتلميع الإعلامي .. فهي نسخ مكررة من بعضها .. وموضوعاتها قتلت بحثاً مئات المرات وكلها تتمحور حول استمرار الصراع مع الرجل ودون الخوض في الهموم والمشاكل الحقيقية للمرأة .

ولكن البعض الآخر يؤكد أن هذه اللقاءات استطاعت أن تزيد مساحة الوعي بحقوق المرأة .. ولفت الأنظار إلى السلبيات التي تواجهها والحلول المطلوبة للقضاء عليها ..

ولهذا اقترح أن تعقد اللقاءات النسائية القادمة ليس فقط للبحث عن ماذا نفعل بل لمناقشة ما تم إنجازه حتى لا نظل ندور في حلقة مفرغة فالمرأة أخذت حقوقها ومازالت باجتهادها تواصل حضورها الفاعل في شتى المجالات وطرح المرأة كقضية للمناقشة لن يقلل من شأنها ، فالمرأة المثقفة والعاملة لها مكانة كبرى في مجتمعها ولكن المشكلة أننا لو دخلنا إلى أعماق الريف سنجد أن الغالبية العظمى من النساء لم يكملن تعليمهن وغير عابئات بما يدور حولهن ، فالرجل مازال يستحوذ على النصيب الأوفر من مقدرات المجتمع ، طبقاً للعادات الشرقية ، أما المرأة التي خرجت إلى العمل فقد حققت درجات ذات مكانة أدبية يتمناها أي رجل .. والسؤال : هل حافظت هذه المرأة «العاملة» على الجانب الآخر ، كأم وأنثى كما حافظت على كيانها الخاص ونجاحها في العمل ؟ وماهو الدور الذي ينبغي أن تقوم به الهيئات النسائية في بلادنا من أجل الارتقاء بأوضاع المرأة الريفية؟؟

أنها التساؤلات التي تقع إجاباتها على المرأة أولاً وقبل أن نبحث عما فعله المجتمع من أجل النساء .